

تفسير ابن كثير

أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ^ج وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ^ق إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ

ولهذا قال : (ألا الله الدين الخالص) أي : لا يقبل من العمل إلا ما أخلص فيه العامل الله ، وحده لا شريك له . وقال قتادة في قوله : (ألا الله الدين الخالص) شهادة أن لا إله إلا الله . ثم أخبر تعالى عن عباد الأصنام من المشركين أنهم يقولون : (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) أي : إنما يحملهم على عبادتهم لهم أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين في زعمهم ، فعبدوا تلك الصور تنزيلا لذلك منزلة عبادتهم الملائكة ؛ ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم ، وما ينوبهم من أمر الدنيا ، فأما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به . قال قتادة ، والسدي ، ومالك عن زيد بن أسلم ، وابن زيد : (إلا ليقربونا إلى الله زلفى) أي : ليشفعوا لنا ، ويقربونا عنده منزلة . ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم إذا حجوا في جاهليتهم : " لبيك لا شريك لك ، إلا شريكا هو لك

، تملكه وما ملك " . وهذه الشبهة هي التي اعتمدها المشركون في قديم الدهر وحديثه ،
وجاءتهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، بردها والنهي عنها ، والدعوة إلى
إفراد العبادة الله وحده لا شريك له ، وأن هذا شيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم ،
لم يأذن الله فيه ولا رضي به ، بل أبغضه ونهى عنه : (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن
اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) [النحل : 36] (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا
نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) [الأنبياء : 25] . وأخبر أن الملائكة التي في
السموات من المقربين وغيرهم ، كلهم عبيد خاضعون الله ، لا يشفعون عنده إلا بإذنه
لمن ارتضى ، وليسوا عنده كالأمراء عند ملوكهم ، يشفعون عندهم بغير إذنه فيما أحبه
الملوك وأبوه ، (فلا تضربوا الله الأمثال) [النحل : 74] ، تعالى الله عن ذلك . وقوله : (
إن الله يحكم بينهم) أي : يوم القيامة ، (في ما هم فيه يختلفون) أي : سيفصل بين
الخالق يوم معادهم ، ويجزي كل عامل بعمله ، (ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول
للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون
الجن أكثرهم بهم مؤمنون) [سبأ : 41 ، 40] . وقوله : (إن الله لا يهدي من هو

كاذب كفار) أي : لا يرشد إلى الهداية من قصده الكذب والافتراء على الله ، وقلبه

كفار يجحد بآياته [وحججه] وبراهينه .